

فلسفة الانقلاب التركي الحديث

بحث فلسفي اجتماعي تاريخي

في الأسباب التي قام عليها الانقلاب التجديدي في تركيا وأثره في تغيير أساليب الفكر

أسباب ونتائج -- العقلية الآسيوية والعقلية الأوروبية -- أثر الأديان فيهما --
الاحساس الديني والقومي -- عصر المدنية الحديثة -- دعائم المدنية الحديثة --
وجوب القضاء على العقلية الآسيوية لتحل محلها العقلية الأوروبية -- خاتمة

من وراء الانقلابات التاريخية والثورات الاجتماعية تكمن البواعث النفسية
والانفعالات والمعتقدات وفلسفة الحياة ، التي تقسر الجماعات على أن تهدم ما هو
قائم لتشيده عليه بناء من لبنات تربط بينها الأفكار والمنازع العقلية والنفسية
التي تكون قد استحدثت على مر الأيام . وليس في التاريخ الحديث كله من
انقلاب هو أشبه بالطفرة منه بأي شيء آخر ، كالاتقلاب التركي الحديث وهو
ككل انقلاب أو فورة فجائية تكمن وراءه بواعث نفسية ومعتقدات وانفعالات
تكون لدى الواقع في مجموعها فلسفة توجه الأفكار والآراء الى وجهة في الحياة
لا يظهر منها الا نتائجها التي تتجلى في المعاهد التعليمية والنظامات الأهلية
والسياسية والاجتماعية

بهذا يؤمن كل من درس حوادث التاريخ مطبقة على علوم الاجتماع الحديثة .
فاذا كان هذا هو الواقع ، واذا اعتقدنا بأن وراء الظواهر المأموسة في الانقلاب
التركي الحديث قد كُنت فلسفة ساقطت إليه ، كان الوقوف على حقيقة هذه الفلسفة
أمر ضروري للحكم على قيمة هذا الانقلاب ومقدار ثباته وقوته ، ومقدار تأثيره
في الإدراك العام ، أو كما يدعونه اصطلاحا العقلية العامة التي تتكون من مجموع
الاغراض التي يرمى إليها زعماء الانقلاب ، ومجموع المبادئ التي يؤمنون بصحتها .
ولقد اتبع زعماء الانقلاب التركي نفس الطريقة التي اتبعها زعماء الانقلاب
الروسي البلشفي في ترويج دعوتهم بالكتابة والنشر فظهر خلال الأعوام الخمسة

الماضية مؤلفات عديدة تؤيد فلسفتهم الحديثة التي رموا بها الى اخضاع العقلية
الاسيوية أولاً ثم القضاء عليها ثانياً لتحل محله العقلية الاوروبية الحديثة . ومن
بين الكتب التي ظهرت كتاب يعده زعماء حزب التجديد في تركيا إنجيلا يوحى
إليهم بكل ما يحتاجون إليه من مبادئ الرقي والنهوض ، كما يعد الماركسيون
والبلاشفة كتاب « كارل ماركس » إنجيل النظام الشيوعي .

وضع هذا الكتاب مؤلف من الظاهر أنه أحاط كثيراً بتاريخ تطور الفكر
الانساني وعلى الأخص بتاريخ تنازع البقاء بين اللاهوت والعلم في العصور الوسطى .
ولقد طبق المبادئ التي استخلصتها العقلية الاوروبية من طريق جهادها الطويل
أزاء اللاهوت على الحالة الواقعة في الشرق أحسن تطبيق وعرف كيف يظهر آراءه
وأفكاره في قالب جلي واضح ، ونجح كل نجاح في اظهار الفرق بين العقلية
الاسيوية كما سماها ، وبين العقلية الاوروبية ، وقضى بأن العقلية الاوروبية
ارتقائية في حين أن العقلية الاسيوية رجعية جامدة . فلا مندوحة اذن من غرس
العقلية الاوروبية في نفوس الافراد والجماعات ، اذا ما أراد شعب أن يخطو نحو
الارتقاء على النهج الذي سارت فيه أمم الغرب منذ أربعة قرون من الزمان .

اسم الكتاب « كتاب مصطفى
كمال » ومؤلفه « قاييل آدم » .
ومن الواضح من اسم الكتاب
أن الآراء التي بثت فيه والمبادئ
التي دافع عنها هي في حقيقتها
فلسفة المصلح الكبير التي كمنت
وراء الظواهر الانقلابية التي
قامت عليها الثورة التركية الحديثة
والانتصار في ميداني الحرب
والاجتماع . وما كان لنا أن نعلق
على هذه الآراء بشيء ما ولكن
يكفينا أن نستخلص منها لبابها ،
لنظهر القارئ على حقيقة هذا



مصطفى كمال

الانقلاب وما يمكن وراءه من المبادئ الارتقائية والافكار التشيدية الكبيرة وهي في مجملها لا في مجموعها ، مما لا يستطيع عقل مثقف على النمط الحديث أن ينكر أن فيها من عناصر الحق والقوة ما سوف يجعلها دستورا عاما للعقلية التجديدية في أنحاء الشرق كله ، على أن تصفى من بعض ما فيها من نزعات التطرف والاقراط . (١) بدأ المؤلف كتابه بتلخيص عام عن مناحي الفكرة المبثوثة فيه ، وحصر الكلام في العقلية التي قامت عليها الثورة التركية الأخيرة . ومن أجل أن نكون أصدق تعبيراً عن حقيقة الآراء والمبادئ التي قامت عليها الثورة الكبرى ، نمضي في ترجمة فقرات من كل فصل نلم فيها بلباب ما فيه ، بحيث لا يفوت القارئ شيء من حقائق الكتاب وكيانه قال :

ان العقلية الاوروبية هي العقلية التي تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا . ونحن انما نتبع ماتوحى الينا به هذه العقلية بحكم اننا موجودون في هذه الحياة . أما العقلية الاسيوية ، فالعقلية التي تلائم الحياة الآخرة . فاذا انتقلنا الى الحياة الباقية ، فهناك نتبع ماتوحى به هذه العقلية . (ص ٣)

ان الامم الحية في العصر الحاضر تعيش فيما يلي حدودنا الغربية ، بينما يعيش في الشرق مجموع من الامم لم يعترف لهم بحق الحياة في عصر من عصور التاريخ . إن الناس في الشرق وفي الغرب يتفقون في كل الصفات العضوية ، فلكل منهم رجالان وساعدان . فمن أين حدث ذلك الفرق البين الواقع بين الناس في الغرب والشرق ؟ (ص ٤)

لا شبهة في أن الغرب وحده هو الذي يتمتع الان بأسعد حالات الحياة ، وفيه أقوى النظم الحكومية ، والحياة فيه أقرب مايستطاع الى ما يجب أن تكون عليه الحياة الانسانية . اذن يجب علينا أن ندرس فن الحياة الغربية لنعرف حقيقتها (ص ٥) . لقد استأنست أمريكا وأعترف لها بحق الحياة من طريق العلم الغربي وتحضرت اليابان بان اتبعت وسائل العقلية الغربية . وكذلك ممالك البلقان . فانها درست هذا الفن وقبلت كل مبادئه ، فاستطاعت أن ترفع عن كاهلها نير استعبادنا . فلا مرية اذن في أن هذا الفن قد جرب واختبر ، فدلّت نتيجة التجارب العديدة على صدق موحياته .

لقد ناضل الغرب ضد رجال الدين وصارعهم ، لالشيء ، الا ليفوز بتكوين

هذه العقلية ، وما زال يصارع ويناضل حتى استطاع ان يقيم للحياة فناً جديداً ، هو الآن قبلة الغرب بل ومعبوده الأعلى (ص ٦)

لم يكن لمذاهبنا القديمة سوى قاعدة منطقية واحدة ، ولم تتكون فيها سوى عقلية بعينها . وتلك القاعدة ، وهذه العقلية ، لم ينصرفا طوال العصر عن شيء واحد . هو ان يرجعوا بكل شيء استنتاجاً واستقراء الى الكتب الدينية . هذا بينما كانت العقلية الغربية تنظر في الحياة بعين انسانية ، وتنظم الحياة على مقتضى ما ترى هذه العين من حقائق الوجود . وانه لمن أشد الاشياء خطراً ان نبحث الحياة الغربية بعقلية أوروبية . لان من الجائر ان يغوينا هذا النهج ، فنقبل جزء من مجمع الحياة الغربية ، أو أجزاء نكيفها تكييفاً خاصاً أو نرفض قبول ناحية من نواحيها ، أو نكل تطبيق شيء منها الى المستقبل ، ثم نقول ان لدينا من الحياة الغربية أجزاء ونتفأ . وما من شك في ان هذا النهج كان سبباً في وقوع أكبر المصائب وأعظم الكوارث التي انتابت تركيا في الماضي . ولقد عملنا باقصى الجهد لكي نوفق بين الناحيتين ، فدلّت التجاريت عن ان التوفيق بينهما مستحيل . فان أهل الغرب انما يعتقدون بان الناس للناس (أى انسانيون) بل ان نظامهم الاولوية في الحياة تنحصر في ان يعيشوا في هذه الدنيا على أكمل وجه تتطلبه الرجولة الكاملة . أما أهل الشرق فموقنون بان الناس ملك لله ، ويحاولون دائماً ان يحققوا وجود الحياة الاخرى في هذه الحياة . ولا جرم ان هاتين النظرتين لا يمكن التوفيق بينهما (ص ٧) على أننا لم نعترف بهذه الحقائق في الماضي ولم نواجهها بما تتطلب من الشجاعة الأدبية والاستقلال في الرأي . ومن أجل هذا كله نجد أنفسنا في أشد الاحتياج لأن نصطبغ بصبغة العقلية الاوروبية الحديثة . وما من سبب لذلك التناوب الشديد الذي قام بين فريقى الامة التركية الا وجود هذه العقلية في ناحية ، حيث تقوم في ناحية أخرى العقلية الدينية العربية . وهذا أخطر ما تتعرض اليه الجمهورية التركية من الاحداث (ص ١٣)

(٢) لم تسلم الامم الاسيوية يوماً ما من الفقر والتعاسة . وليس لهذا من سبب سوى أنها اعتادت على أن تستقرى أحكامها المعاشية كلها من تشريعها الدينى المقدس . ولن تقف على طابع آخر غير هذا اذا ما قلبت تاريخ مصر والهند وفارس

واليابان القديمة والصين وطوران وبلاد العرب . فان هذه الامم لجهلها قد نسبت
لأمرائها وسلطينها ، أو لغيرهم من مقدمي الانتهازين ، صفات قدسية حيناً ،
أو سلطة إيحائية حيناً آخر . وكان من نتائج هذه العقلية أن تردت الامم الاسيوية
في وهدة التعاسة والشقاء (ص ١٤)

أما المعركة القائمة اليوم فوجهة بكل ما فيها من قوة إلى القضاء على هذه
العقلية الأسىوية . والحالة جليلة واضحة . فلست تجد في أوروبا مثقفاً أو غير
مثقف يمضى في أعماله متواكلاً على سلطة الوحي : أما في آسيا فانك لا تجد شيئاً
اللهم الا الانبياء (١) والقديسين والحكام الذين يستمدون سلطتهم من الله مباشرة .
تجد الاوامر والنواهي القدسية متغلغلة في تضاعيف العديد الأوفر من الشؤون
الخاصة الصرفة للناس ، محكمة في كل وجه من وجوه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية
والتجارية والادارية . ولديهم أن هذه الأوامر والنواهي هي أوامر الله ونواهيه ،
وعلى هذا لا يمكن تبديلها أو تكييفها . فاذا تبدل الزمان وتكيف وجدت هذه
الاوامر والنواهي مقصورة على اللحاق بزوح العصر نشوءاً وارتقاءً ، لا تجد من
شيء اللهم الا نبياً آخر مرسلًا بتعاليم جديدة . ولا مرية في أن تتابع ظهور الانبياء
في آسيا طابع خاص بها ، لا تفاضلها فيه بقعة أخرى من بقاع الارض (ص ١٦)
على ان أعجب ما ترى في كل هذا أن كل نبي من هؤلاء الانبياء قد نصح
للناس وأهاب بهم أن ينكروا حقيقة هذه الحياة بكل ما فيها ، وأن يتلظوا حرقة
الى الحياة الآخرة . وفي هذا ينحصر كل ما يقصد بوذا من النرفانا ، وكل ما يقصد
الاسلام من الفردوس (ص ١٧) وهذه العقلية قتلت في الشرق فكرة النقد ،
كما غشت على العقول والافهام بأغشيتها الثقيلة

بيد أن هؤلاء الانبياء الذين حكموا الدول وساسوا الممالك لم يقنعوا بأن
يفرضوا على الناس أوامر الدين ونواهيه ، بل صبغواهم بأخلاقهم ، ودهنواهم بطلاتهم .
فان الاسلام مثلاً ، قد صبغ المسلمين ، فضلاً عن الدين ، بصبغة الحياة العربية
الاجتماعية في كل مكان وآن . واضطر الناس على أن يقبلوا مذعنين ، لا الله والدين
وحدما ، بل حياة العرب العائلية والاجتماعية والخلق العربي والعادات العربية

(١) لا يستثنى الكاتب نبي واحد من مجموع الانبياء الذين ظهروا في آسيا من حدود المحيط
الهادي الى أوروبا والبحر الاحمر .

بصورة كلية ، واللغة العربية بصورة جزئية . كذلك لم يفرقوا بين الدين والقومية . فان الدين والقومية ظلا في الشرق شيئاً واحداً طوال الازمان . ولهذا لا تقع في الشرق على حركة اجتماعية صبغت بالروح القومية على اطلاق القول (ص ١٨)

لقد لعن بوذا هذه الحياة . وكذلك مذاهبننا القديمة . فانها لم تعمل الا لتمهد الطريق للحياة الاخرى . ولقد أخذت أم آسيا كلها بحياة هذه التعاليم النظرية وعلى هذه القاعدة فيد اللاما أمة الصين ، والبراهمة أم الهند ، والآخوند أمة الفرس ، وأئمة الاسلام تركيا . أما العقلية التي اختفت وراء هذه التعاليم فتكون في الاعتقاد بما يأتي :

- ١ — ان الحقيقة لا يمكن معرفتها بالعقل بل بالتقاليد
- ٢ — ان الحياة لا يجب أن تحكم بمقتضى المبادئ الانسانية المستمدة من غرائز الانسان ، بل بمقتضى الشرائع المنزلة التي لا تتبدل ولا تتغير .
- ٣ — هذه الحياة فانية ، والاخرى باقية
- ٤ — نسبة كل شئ الى القضاء والقدر
- ٥ — رفض الاعتقاد بضرورة الحياة القومية ، والعكوف على الخضوع للتقاليد الدينية .

- ٦ — الخضوع الكامل للرئيس الروحي .
- وهذه القيود الحديدية والاصفاد الثقيلة لم تترك للام الاسيوية من فرصة للخلاص . ولقد كانت هذه العقلية بمثابة تجربة حاول واضعوها أن يعرفوا ان كانت بذاتها وسيلة ناجعة للقضاء على الحياة وعلى الانسانية . ولا مزية في أنها قطعت كل علاقة كائنة بين الناس والحياة الدنيا (ص ١٥)
- ولما كانت علاقة الانسان بهذه الحياة متينة ، وأواصره بها لا تفصم ، لم يكن هناك من سبيل لكي تعيش هذه العقلية وتحيى ، الا بأن يقتل العقل الانساني ويلغى من هذا الوجود . ولولا هذا لظهر سريعاً أن الشرائع المنزلة لا تتفق وحقائق هذه الحياة . لهذا لم يتوان مشيدو العقلية الاسيوية وواضعوا قواعدها عن أن يجعلوا أساسها الاعتقاد بأن الحق في هذه الحياة تقليدي لاعقلي . ولكن نتساءل ما هي التقاليد ؟ ولماذا لا يكون لدينا من الحرية ما نستطيع به أن ننظر في هذه التقاليد نظرة تحليل نحكم فيها العقل ؟ تلك التقاليد التي لم تسم بنا يوماً الى

أفق السعادة والحرية والثروة ومعرفة حقيقة الانسانية ، بل كثيرأما عضدت أسباب التعاسة والشقاء وقوت جذور شجرة الاستبداد التي تمتع بشعراتها الرئيس الروحي خلال كل الازمان . وبما أن هذه التقاليد لم توضع الا لتطبق على الانسان ، فان العقل الانساني يحس ضرورة بأنه مقصور على أن يبحث في أصلها ونشأتها وماهيتها ، ليعرف ان كانت التقاليد سموماً قاتلة ، أم أنها عقاقير لقهان السحرية !!! (ص ١٩) ان من أبلغ السفسطة أن تقول بأن العقل الانساني لا يستطيع أن يدرك الحقيقة . ان كل الذين أوصلوا اليها هذه التقاليد وبثوها في نفوسنا قد اتخذوا العقل الانساني وسيلة لبثها . وما هذه التقاليد لدى الواقع الا مجموعة من السخف لا يمكن أن تقاوم قوة النقد ساعة واحدة . ولم يكن في مستطاع أحد من ناقل هذه التقاليد (الانبياء) أن يوحى اليها برسالة تساعدنا على اختراع آلة من الآلات أو استكشاف الكهرباء أو البواخر أو الطائرات أو التليفون اللاسلكي أو مبادئ الطب التي تساعدنا على مقاومة داء السرطان أو السل أو غيرها من الامراض . ولقد ثبت في روعنا اليوم أن ما يجب أن يوحى اليها به من العالم المجهول انما ينحصر في مثل هذه العلوم لخير الانسان والانسانية . واذا قلبت تاريخ آسيا برمتها منذ أبعد العصور الى اليوم ، لما استطعت أن تلتقي في سفرك الطويل بقديس واحد من أولئك القديسين الذين اتخذوا العلم للقداسة طريقاً . في حين أن تاريخ الدنيا يفيض بذكر الكثيرين ممن هم من هذا الطابع الخالد . أولئك الذين استكشفوا الحق وعرفوا الحقيقة ، أولئك الذين آمنوا بأن الحق عقلي لا تقليدي ، لا الذين ظلوا طوال الأعمار ينتظرون الوصول الى الحق من طريق التقاليد . ولا شبهة في أن رجال آسيا ، وهذه عقليتهم ، لا يستطيعون أن يدركوا من الحقيقة شيئاً . (ص ٢٠)

لنتسال لماذا لم يكن في مقدور المذاهب الاسلامية أن تنقذ الامبراطورية التركية ؟ والجواب أن ليس لهذا من سبب الا أن عقليتها قد عكفت على الاعتقاد بأن الحق تقليدي صرف . أما العلم اليقيني الحديث فيعتبر أن هذه العقلية سم قاتل . لأنها بعد أن تحتم في الفرد وتستقل بوجدانه وتبعده عن التفكير في أمر نفسه يكون في مستطاعك أن تجعله يعتقد بصحة أية من الاحكام الدينية فيما يتعلق بحياة الاسرة أو نظام الحكومة . وهذه العقلية هي السبب المباشر فيما ترى من

سوء النظام والعادات القبيحة كتعدد الزوجات في الحياة العائلية ، وانقسام الناس الى أحزاب وطوائف في النظام الاجتماعي في الشرق كله (ص ٢٢)
 أنظر في نظام الحكومات أو تاريخ الشعوب التي مضت عاكفة على هذه العقلية . فماذا ترى ؟ ملك مستبد بعيد عن التقيد بما توجبه شرائع الآداب ، منعوت دائماً بأنه ظل الله فوق الأرض ، وقصر منيف الظاهر مشمخر البناء ، وما هو في الحقيقة إلا دار بغاء رسمي ، تملأ جوانبه السراري والجواري . بل انهم عبارة عن مجموع من أبناء البشر تعساء بعيدين عن حقيقة الحياة (ص ٢٥)
 ان أهل الكلام من المسلمين لم يعنوا بتحرير الضمائر والافكار ، كما أن التشريع الاسلامي لم يجب أهل الاسلام بحق الحياة والعمل . بيد أن كل الامم الاسيوية قد حكمت بنظمات وتعاليم دينية ، وكل القوانين التي فرضت على هذه الامم قد استمدت من هذا النبع وحده . ولما كانت هذه القوانين بمقتضى ذلك غير متغيرة ولا متحولة ، قد قاومت في كل عصور التاريخ جولة هذه الامم نحو النشوء والارتقاء كلما حاولت أن تخطو نحوه . ان أهل الكلام قد أعاقوا العقل عن النماء والتطور ، كما أعاقوا النظم التشريعية تطور الشعوب الاجتماعية ، فنتج عن ذلك أن أصبح من أقصى المستحيلات أن يقع في آسيا انقلاب ثوري لافى الصورة العقلية ، ولا في النظام الاجتماعي . (ص ٢٦)

تحت تأثير هذه العقلية قيدت الارادة . فقتلت حيناً ، وأعطيت من الحرية قدراً ضئيلاً حيناً آخر . في حين أن الارادة الالهية ظلت طوال الاعصر القوة الحاكمة بأمورها ، وردت الارادات والاسباب جماعها الى القضاء والقدر الذي تصرفه القوة القدسية الغيبية . وهذا هو السبب في ما يدعى « بالبطالة الشرقية » تلك الصفة التي يناظرها في الغرب ما نسميه « بالحضارة الاوروبية » (ص ٢٦)
 ان كل ما حاول الغرب أن يصل اليه من طريق الاكباب على درس العلوم اليقينية ، حاولت الامم الاسيوية أن تبلغ إليه من طريق الاناشيد والصلوات والسحر والارواح (ص ٢٧)

جب نواحي آسيا وافتح باب أى قصر من قصورها الفخمة الضخمة ، فانك لا تجد الا قطيعاً من رجال ونساء اتخذوا الزنا حرفة في الحياة . وهذه هي بعينها حال الخليفة والامام والمشايخ . ان هؤلاء الرؤساء الذين أمروا للناس بأن يصوموا

وأن يتعبدوا ابتغاء وجه الله ، وفي الوقت ذاته صرفوا الناس عن كثير من خيرات هذه الحياة ، لم يكن لهم في حياتهم الداخلية من بغية اللهم الا الحصول على الذات البدنية من أية طريق وبأية وسيلة . وهذا التناقض الواقع بين ما يأتون من فعل ، وما يتفوهون به من كلمات ، قد دل على خبثهم وخيانتهم وفتكهم بعقول الناس ، وكان في الوقت ذاته سبباً في أن تحتمل النزعات السفلية من خيانة وفجور في ارادة الحكومات . ولهذا تجد أن هذه العقلية قد مضت مستبدة بأمرها في كل طبقة من طبقات السلك الحكومي ، حتى لقد اعتبرت الخيانة ، كما اعتبر الغش والخداع ، من الامور المشروعة ، تأييداً للمآرب الذاتية وخدمة لمصالح الافراد (ص ٢٨) لم تكن الديانات في تاريخ آسيا كله الا حركات رجعية أملتها الغيرة التي تزود بها كل رسول جديد ضد الرسل الاقدمين . ان ديانات آسيا كافة واحدة في جوهرها . فان تعاليم بوذا وكونفوشيوس وبراهما وموسى وعيسى ومحمد كلها واحدة . فان اختلفت فأنها انما تختلف في التفاصيل لا في القواعد (ص ٣٠)

هذا هو الحق الذي تقع عليه كلما قلبنا تاريخ الامم الآسيوية . لقد خضعت آسيا لهذه العقلية ، ولم يكن لديها من القوة الذاتية ما تستطيع به أن ترمى عن كاهلها ثقل هذه التقاليد . اذن فلا سبيل الى الخلاص الا بلاقح يستخلص من العقلية الاوروبية . وهذا هو السر فيما نرى من تقدم اليابان المدهش خلال الخمسين عاماً الفارطة ، اذا قسنا تقدمها بتقدم الصين مثلاً . ان الصين لا تزال الى اليوم واقعة تحت تأثير الذهنية الآسيوية . أما اليابان فقد نقضت عن كاهلها هذه الذهنية ، واستعاضت عنها بالذهنية الاوروبية اجمالاً وتفصيلاً . ولقد يظن البعض أنه من المستطاع أن تحوز الامم هذا التفوق الكبير من طريق الاستعانة بالعلوم العملية وحدها . غير أن هذا مستحيل . لأن المسألة مسألة « عقلية » تتناول كل بناء الفكر والعواطف والمشاعر والحياة ، تتكثف وتتراكم خلال الاجيال . ان « العقلية » كل لا يمكن تجزئته إلى أقساط وكتف . وعلى هذا وجب أن تلغى العقلية الآسيوية كلية ، لتحل محلها العقلية الاوروبية في مجموعها . ولن تجد للخلاص طريقاً آخر (ص ٣١ و ٣٢)

(٣) الاتراك أمة آسيوية . ولذا كان من الطبيعي أن يعيش الشعب التركي وأن

يعمل متأثراً بوحى العقلية الاسيوية . وإنما ينحصر غرضنا الآن في أن نبحث حياتنا وتاريخنا لنرى كيف زودتنا الثورة الاخيرة بحياة جديدة ، وأن تفهم طبيعة تلك الواجبات والالتزامات التي فرضتها علينا عقلية الثورة ، ولنحكم على مقدار ما هو مطلوب منا من تضحيات ، حتى نستطيع أن نغرس هذه العقلية في نفوس الشعب بشكل قاطع (ص ٣٣)

لقد عودنا على أن نلقن بأننا عبيد الملك ، ظل الله فوق الارض ، واننا له

ملك ومتاع . وهذا يتضمن بالضرورة

الاعتقاد بأنه ليس لدينا من شيء

يمكن أن يقاوم قوة خليفة الله الواحد

القهار ، المتربع فوق عرش الارض ،

وأنه لن يكون من نظام اجتماعي أثبت

أصولاً من اجتماعنا ، ولا حياة

دنيوية أسعد ولا أمتع من حياتنا .

بينما كانت الحقائق الملموسة توحى

لنا كل حين بأن في أنحاء مملكتنا

فقر وجوع . وأن جزء بعد جزء

من أطراف الامبراطورية كان يؤخذ

عنوة ورغماً منا نهياً واغتصاباً .



عصمت باشا

وكانت لنا حكومة هي أضف من أحط الحكومات الاوربية ، متردية في حمأة

الرشوة ، مفككة الاوصال مضطربة الاحوال ، بعيدة عن حكم الشرائع والآداب .

واننا كنا نستجدي الغرب في كل شيء نحتاج اليه . ومع كل هذا فقد كان لدينا

« ظل الله فوق الارض » وأربعون زوجة من زوجاته ، وأربعون غلاماً ممن

تعرف ولا أذكر ، لاشغل له الا أن يحمل الشعب على أن يتجرع فكرة الجنة

ونعائمها على ما وضعها رجال المذاهب القديمة . كان قد أصابنا الانحلال في الداخل

ولم يكن لدينا من سبيل لكي تفهم الحق وأن نعرف الحقيقة ، الا بأن نتصل من

طريق ما بالمعرفة الاوروبية ، وأن نعترف بتفوق العقلية الغربية ، وأن نكب

على درس الاسباب التي غرست الشقاء والتعاسة في أرض من كنا نعتقد أنه

« ظل الله فوق الارض » ولما فعلنا ، بان لنا أن « ظل الله فوق الارض » لم يكن شيئاً ، اللهم الا صنم مفقود القوة والروح ، كأى صنم من أصنام بوذا في الهند . وكان لنا بمحمد أسوة . فكما أنه حطم أصنام مكة والمدينة ، كذلك نحن حطمنا أصنام الخلفاء والمذاهب القديمة والتكايا والقبور . هذا هو معنى الثورة . أما منافعها فسوف تكون عظيمة لخير الامة وسعادتها في المستقبل . (ص ٣٤)

ان الامبراطورية التركية القديمة كانت دولة دينية . لقد تبدلت هذه الامبراطورية من نظام التكية السلجوقى القديم بنظام المذاهب ، وأخضعت الناس قسراً الى المنطق التحكمى الذى اتصف به كل من ندعوه « حجة الاسلام » . وهنا تتجلى لنا صورة من أوضح الصور التى امتازت بها العقلية الاسيوية (ص ٣٥) ومع كل ذلك ، فان هذه الدروشة وان شئت فادعها الباطنية ، كانت السبب الاقوى الذى نجى الامتين التركية والفارسية من أن تستعربا بشكل حاسم . وفى هذا المجال وحده بدأ النضال بين الاسلام والقومية . أما القومية فقد تفوقت وانتصرت فى النهاية . (ص ٣٩)

بعد هذا بدأ عصر الملوك العثمانيين . وفى هذا العصر تفوقت المذاهب العربية القديمة وأساليبها كل تفوق ، حتى لقد اتبعت أساليب المذاهب البغدادية فى الاجمال والتفصيل . وهنا شبت ما ندعوه « الشريعة » التى استمدت كل أحكامها من الاوامر والنواهى القدسية المنزلة . فكان لزام أن لا تعترف هذه المذاهب بأن تغير الازمان موجب لتغير الاحكام . لقد نظرت هذه المذاهب الى القسطنطينية كما نظرت لبغداد ، ولم تفكر ساعة واحدة فى أن تدرس البيئة التى تحيط بهذه العاصمة وأن تتعرف طبيعتها وأن تكيف مبادئها بما يلائم هذه البيئة . لقد مضت المذاهب تزود الناس بعقائير استمدتها من مصادر كانت فى مكة قبل بغداد وكانت من قبل أن تكون فى مكة بين أعراب البادية . فهل يمكن أن يكون مستطاعاً أن تحتفى الشعوب بمثل هذه الشريعة التى لم تدل يوماً على أنها ملائمة لتطور الحالة الاجتماعية التى يقتضيها نماء العقل البشرى ؟ انه يتعذر أن نناقش هذه الحقيقة . ليس من الممكن أن تتطور قوة ما من القوى وتمضى مرتقية ، وهى فى الوقت ذاته بعيدة عن التأثر بمبادئ التطور وماهيته . ان مثل هذه القوة لا تنتج من شيء الا التراجع والانحدار . (ص ٤٩)

ان المبادئ التي استمدت من مكة ومن رمال البادية هي التي أعاقت تركيا عن التقدم ستة قرون طوال . لقد حكمت هذه المبادئ الشعب التركي عقليا ومدنيا واجتماعيا وعلميا وسياسيا واداريا ومدنيا . وعلى الجملة احتكمت في كل مظاهر حياته . ولقد استنفدت المدارس كل موارد تركيا المالية . ولكن ماذا كانت طبيعة الاشياء التي تدرس بين جدرانها ؟ لم يدرس بينها حرف واحد من اللغة التركية . بل كانت العربية هي الاساس ، وأكب الناس على درس مقاطع من القرآن وتفسيرات فيه قد أربت على المئات والالوف من الصفحات التي كتبها واضعوها وحكموا فيها منازعهم وشهواتهم تحكما . وكذلك درسوا الحديث . تلك الاحاديث التي وضعها وانتحلها رجال من مختلف الامم ، وفي مختلف الازمان (ص ٤٩) بيد أن هذه الاساليب التعليمية لم يكن لها من صلة بالشعب التركي ، ولا بلفته ولا بثقافته . بل لم يكن لها من صلة بالحياة ذاتها . وليس في تاريخنا من شيء هو أدعى الى الخجل أن من تفرض السراي — الباب العالي — على الشعب التركي أسلوباً تعليمياً عربياً في قوامه ومبناه . ومن الغريب أننا خضعنا لهذا النظام خضوع العبيد والاماء ستة قرون طول . (ص ٥٢)

لقد وضعت المذاهب علماً قدسيا بنته على تفسيرات خاصة فسرت بها الاحاديث وآيات القرآن . أما رجالها فقد أعلنوا الحرب والنضال على كل من حاول أن يخرج عن هذه الدائرة . وبهذا سد باب العلم وحظر على الناس ولوجه (ص ٥٥) لقد مضت المذاهب حاكمية بأمرها في السراي وفي التسكيا . ولم يكن على المتربع في السراي ، خليفة العالم « وظل الله فوق الارض » من واجب الا أن يحمي بصولته طريقة تطبيق تلك التعصبية الدينية التي تأصلت في بغداد تطبيقاً عملياً . وكان من أثر هذا أن ألغيت حرية الضمائر وقتلت طريقة النقد العقلي . وبكثير من الخطاء في التفسير والتلاعب به ، فصلت المرأة عن الحياة الاجتماعية ، وأبيح تعدد الزوجات ، فلم يصبح للمرأة في عالم الاجتماع من مكان تشغله « ص ٦٢ » كذلك فرضت المدارس على الناس أحكاماً شاذة لتقوى بذلك دعائمتها وثبتت مركزها . فقد قالت انه فجور أن تكلم امرأة أحداً من غير أهلها . بل قضت بأن ظهور شهرة واحدة من شعرها ليراها أجنبي ، سبب كاف للطلاق . في حين أنها لم تذكر أن الخلفاء الذين ولدوا بغير عقد شرعي ، هم بذاتهم نبت لغرس غير مشروع « ص ٦٤ »

(٤) طالما خيل إلينا بأن المسألة الشرقية التي قامت في دوائر أوروبا السياسية من أكبر المخاطر التي تعرضنا إليها . ولقد جر الخوف من هذه المسألة إلى جهود كثيرة بذلت في سبيل الإصلاح . على أن ضروب هذا الإصلاح لم يكن فيها من روح هذا الانقلاب أو التجديد شيء ما . بل كانت مجرد وسائل سياسية تدرع بها الحاكمون لا تقاذ الدولة . على أن جزءاً كبيراً من هذه الإصلاحات بذاتها كانت من عمل الأوروبيين لا من عملنا . « ص ٧٢ »

وفي الحق أن هذه الحركات الإصلاحية لا يمكن أن تعتبر حركات تجديد ، لأنها لم تصدر من الشعب ، مصدر كل إصلاح وتجديد « ص ٧٣ » وإذا كان قدماء الكتاب والمؤلفين لم يخرجوا عن حد النقل عن منتجات الشرق ، فإن كتاب عهد الإصلاح ، كما يسمونه ، لم يتعدوا حد النقل عن منتجات الغرب . فلم يكن في كلا العصرين نزعة إلى التجديد أو الابتكار « ص ٧٤ » والدليل على ذلك أن المصلحين لم يحاول أحد منهم أن يلمس بنقد أو تقرير حقيقة الحياة العائلية في تركيا « ص ٨٠ » لقل نقل هؤلاء مبادئ الثورة الفرنسية نقلاً حرفياً بلا تحوير أو تبديل . على أن الثورة الفرنسية لم تتناول نظام الاسرة في أوروبا بأي حدث . ذلك لأن حياة الاسرة الأوروبية كانت قد وضعت مرساتها على نظام ثابت لا يقبل التغيير . « ص ٨٠ »

لقد كانت المسيحية ديانة أسيوية ، كما كان الاسلام . غير أنها لم تستقو في عصر من العصور على شعب من الشعوب الأوروبية التي اعتنقتها فغيرت مزاجه الاجتماعي . لقد انتقلت المسيحية إلى روما في صورة فكرة ، ولكنها لم تنقل معها النظام الاجتماعي الذي خصت به البيئة اليهودية في الشرق . بل على الضد من ذلك ، فإن المسيحية قد تطورت ، وفقدت جزءاً عظيماً من ماهيتها الأصلية ، بما أثرت فيها البيئة الاجتماعية الرومانية ، مثال الحياة الأوروبية في ذلك العصر . فلو أن المسيحية كانت قد زحفت على أوروبا من أورشليم بمجيوشها وجحافلها كما زحف الاسلام على الغرب ، وأخضعت أوروبا لسلطانها وسطوتها . اذن لألغيت الحياة العائلية في أوروبا ، ولحلت محلها شرائع الاعراب من أهل البادية ، ولتبدلت أوروبا من حياتها الأولى حياة أخرى . بل ولا نقالي إذا قلنا بأن أوروبا الحديثة لم تكن لتوجد على ما هي عليه اليوم . على أية حال نقول بأن

تاريخ أوروبا قد ذهب في متجه وحده ، وبذلك أنقذت الحياة العائلية ونجت من تخريب التقاليد خلال كل العصور « ص ٨١ »

أما نحن فلم يكن لدينا شيء من روح هذا النظام العائلي . ذلك النظام الذي ولد في الامم الاخرى روح الحياة القومية « ص ٨٢ » ولقد حاول المصلحون عبثاً أن يوفقوا بين الناحيتين . فأنهم من طريق المدارس القديمة العتيقة قبضوا على زمام التعليم في المعاهد ، ومن طريق المحاكم الشرعية الدينية أخضعوا نظام الحقوق المدني ، وباتباع ما أوحى به السياسة الاسلامية الصرفة ، استطاعوا أن يلغوا العقلية التركية إلغاء كاملاً « ص ٨٣ »

لم يكن ذلك الجهد السياسي بشيء الا جهد القانط اليأس يحاول انتقاذ دولة

عملت فيها أيدي الفساد . انه لم يكن تجديد ولا اصلاح بالمعنى الصحيح « ص ٧٦ » لقد صم آذاننا اعلان الحكومة النيابية مرتين . ولم يكن لدى الذين أعلنوها من غرض الا أنهم الا أن يخضعوا الطوائف العثمانية المكونة من شعوب وعناصر متباينة ، لقوة الخلافة أو السلطنة مجتمعة . فلم يفكر المصلحون يوماً ما في أن يضعوا حداً حاسماً لتفوق السلطة الدينية ، فيحيوا بذلك الشعور القومي في قلوب الاتراك (ص ٩١)



أنور باشا زعيم حزب الاصلاح

يقوم القانون في فرنسا على فكرة

الحق ، وفي المانيا على فكرة القوة ،

وفي انجلترا على فكرة المنفعة . « ص ٩٢ » أما فكرة الحق ففكرة انسانية صرفة وليست بفكرة قومية . على أننا نعيش اليوم في جو مشبع بفكرة القومية ولا شيء غيرها . ولهذا كان من الواجب بدلاً عن أن نتبع فرنسا أن نحذو حذو المانيا أو انجلترا . إن القومية ألغت الفكرة العثمانية ، وردت فلسفة الذاتية Subjectivism الى حيث أصبحت بلا فائدة أو نتيجة ، بل محت الفكرة الفردية في الاقتصاد ، وأضحت معها الشرائع المنزلة بلا معنى يلائم الحالة الراهنة . ومع

تفوق الروح القومية أصبحت الآداب الدينية لدى الواقع بعيدة عن حكم الآداب المدنية . لهذا وجب أن نلغى الحياة العربية إلغاء تاماً ، وأن نتنكب طريق السياسة الإسلامية تنكباً ، ونتحرز منها تحرزاً (ص ١٠٧)

كان للموفقين ثلاثة أغراض تنحصر في أن تتسلم ونستجدد ونستترك . وكان هذا في حيز المستحيل عملياً . فان الاخطار التي انتابتنا من جراء القوانين التي استعدهاها من الاسلام كانت جليلة ظاهرة . واستخدام القوانين التركية التي ذاعت قبل الاسلام كانت موضع الشك . لهذا لم يصبح أمامنا الا العمل للتجديد . ولم يكن للتجديد من وسيلة الا ثورة طاحنة . « ص ١٠٩ » ولا سبيل للمستقبل الا هذه السبيل .

(٥) ماهي الاسباب الاولى التي أحدثت تلك الفروق الكائنة بين العقلية الاسيوية والعقلية الاوروبية ؟ سأحاول أن نعرف السبب من طريق تاريخي . يجب علينا أن نعي بداءة ذي بدء أنه لم يقم في أوروبا من نبي مثل بوذا أو كونفوشيوس أو موسى أو عيسى أو محمد ، ممن حملوا الى الناس أوامر ونواهي إلهية ، ثم ألزموهم الخضوع لها قسراً وجبراً « ص ١٢٣ »

تصادفنا في البدء حضارة رومانية قامت تعقيباً على الحضارة اليونانية التي حازت أرقى ما وصل اليه العقل البشري من الرقي والذكاء في التاريخ . على أن الحضارة اليونانية كانت حضارة انسانية النزعة في مجملها وفي تفاصيلها . ولقد بحث العقل اليوناني الحياة ووضع من طريق هذا البحث نظاماً للحقوق الانسانية يوافق ما تقتضى هذه الحياة من حاجات . وكذلك الفلسفة اليونانية ، فانها فلسفة صرفت كل همها لخير الانسانية . ولكنها لم تأت من طريق التنزيل والوحي على أنبياء ورسل ، كما هي الحال في الشرق . بل انك لا تعثر في بلاد اليونان على فيلسوف انتحل لنفسه صفة النبوة أو ألقى على كاهله عبء الرسالة « ص ١٢٤ »

ولقد ورثت روما البربرية هذا التراث عن اليونان . وعلى الرغم من أن اليونان كأمة قد انحلت وزالت ، فان الفلسفة اليونانية ظلت الحاكمة بأمرها في العالم الروماني والحضارة الرومانية « ص ١٢٥ » غير أن أنانية روما الاستعمارية ، قد هزت قواعد روما وخلخلتها . وفي ذلك العهد أمكن لحواري من حواربي المسيح

أن يملك منها الزمام ، وأن يقبض على أعنتها « ص ١٢٥ »
 حقيقة أنه هبط روما وفي يده كتاب ، وكان يحمل فضلاً عن ذلك نزعات
 المنطق الديني الاسيوي ليشق به لنفسه طريقاً ، ولكنه لم ينته إلا بأن بث فكرة
 مجردة لا غير . ذلك لأن الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وكل نظاماتها .
 والدليل على هذا أنها ليست فكرة الحق المسيحية هي التي تسلطت على أوروبا ،
 بل فكرة الحق الرومانية . وكذلك عاش نظام الاسرة الروماني وأينع وآتى أكله .
 في حين أنه لم يقو نظام واحد من نظمات آسيا الاجتماعية على أن يلج روما باباً .
 وكذلك لم تعرف هناك عادات المسيح . بل أنه لم يتغير في روما من شيء إلا اسم
 الآله الذي كانوا يعبدون . وهذا الدين على هذه الصورة هو الذي ذاع وانتشر
 في أنحاء الامبراطورية الرومانية « ص ١٢٦ »

على هذا النمط ملكت ثانية الديانات المنزلة زمام أوروبا . أنها ديانة قامت
 كغيرها على الاوامر والنواهي الآلهية . وكانت من الناحية المنطقية على أبعد
 ما يتصور من الابهام والغموض والتعقيد . فكان هذا سبباً في أن تتسع لكثير
 من ضروب التفسير الاختياري الذي لا يتقيد فيه مفسر بنص ولا قاعدة . غير أنه
 على الرغم من كل هذا أتقذت الحضارة الرومانية أوروبا . فان كل أمة من الامم
 التي اعتنقت النصرانية لم تتخل لحظة واحدة عن عقيدتها الاصلية أزاء الحق
 الانساني ، ولم تبعد قيد أنملة عن نظاماتها العائلية وغيرها من ظواهر الحياة كما
 ورثت عن الحضارة الرومانية . لهذا قام نضال وكان صراع بين العقلية المسيحية
 القديمة ، وبين العقلية اليونانية الرومانية دار حول نظام البابوية « ص ١٢٦ »
 لقد نهجت المسيحية نهج كل الديانات الأخر . لقد علمها زعمائها على أنها
 تقاليد لا تنقض . وبذلك وقف تيار العلم الارتقائي ، وحصر التعليم بين جدران
 المدارس المسيحية . غير أنه بجانب هذا قامت الحياة الاجتماعية ونظاماتها غير
 ممسوسة بشيء من هذه الروح . والحقيقة أنه لم يكن للمسيحية من نظمات
 ومعاهد تتغلب بها على النظمات والمعاهد التي كانت في أوروبا من قبل . وهذا
 هو السبب في أن أوروبا قد استطاعت أن تنجو بنفسها عن أن تصطبغ بالصبغة
 الاسيوية . فاذا كانت المسيحية قد نقلت معها الى أوروبا شرائع كشرائع تعدد
 الزوجات أو الحجاب أو منطق يوحى بالقضاء والقدر أو أوامر منزلة تقضى على

حس الجمال وحب الطبيعة والحياة ، إذن لقضى على أم أوروبا « بالدروشة » كما قضى على بلاد فارس والهند وجزيرة العرب . وما كان يغنى عنهم أنهم أوروبيون . فان مسلمي البوسنة ومسيحييها لا بلغ مثال نصرته لنؤيده ما نقول . وما دام مسلمو البوسنة في هذا العصر قد انتحلوا حياة العرب الاجتماعية وهم بعد في قلب أوروبا ، فما الذي كان ينبغي أوروبا من مثل ذلك ؟ « ص ١٢٧ »

ثم جاء عصر التجديد ، وتبعه لوثر . إن المزاج الألماني لم توافقه مراسيم روما وطقوسها فبدأت عهد الإصلاح وشق لها لوثر الطريق . قيل بأن كلمات الله لا يمكن أن تحتكرها اللاتينية . وإن كل اللغات يصح أن تكون لله . وكذلك الطقوس الدينية يجب أن تتبع أحكام العقل . فألغى لوثر كل الطقوس التي لا تتفق ومطالب الحياة ، أولاً تتجانس والعقل والذوق السليم . إذ كيف يتسنى لأمم متحضرة على النمط الحديث أن تلزم طقوساً ومراسم بشر بها بداءة ذى بدء لشعوب عراة حفاة دأبهم البطالة والكسل ، وأخص صفاتهم الجهل ؟ شعوب عاشت بلانظمامات تشريعية أو حكومات . لقد فهم لوثر هذه الحقيقة . ولذا سلك أقوم سبيل . « ص ١٢٨ »

ليس الإصلاح الديني — الذي قام به لوثر — إلا جزءاً من التأثير الروماني العظيم الذي برز الى الوجود من خلال الحضارة اليونانية . وتلى هذه القاعدة عينها قامت الثورة الفرنسية . فان كل زعماء الثورة في فرنسا كانوا جميعاً من المؤمنين بما أوحى به فلاسفة اليونان لعالم البشرية . فكتاباتهم ملأى بكلمات تفوه بها فلاسفة اليونان ، وحياتهم مثل لمبادئ وضعوها . انك لا تتع فيما كتبوا على استشهاد اقتطع من كتاب منزل . لانهم لم يجدوا الا في الاناجيل والتوراة ولا في كتاب زرادشت ، حقائق كالتى وقعوا عليها في مؤلفات اليونان . لقد كمن هذا الحق الثابت في تضاعيف الفطرة الانسانية . والثورة الفرنسية إنما استكشفت هذا الحق وعكفت عليه « ص ١٢٩ »

لقد استكشفت أن الحق عقلى لا تقليدى . وأن العلم يمكن استنباطه واستقراؤه من أعمال الناس وحاجات الجماعة وكنوز الطبيعة . وأن ليس للملوك ولا للبابوات من حق في الادعاء بأن لهم من قدرة على فهم الحق والعصمة من الخطأ أكثر مما لكل الناس . لقد نزع الثوره عن الدين سلطة الدنيا وتركته في حيزه الطبيعي . في صدر الجماعات ومشاعرها « ص ١٣٠ »

وما كان لشيء أن ينتج عن هذا الا القومية . لقد كانت الثورة الفرنسية لكل الانسانية ، ولكنها انتهت بالقومية . وفيها تمر اذا ما بحثت على الاسس التي قامت عليها العقلية القومية في أوروبا « ص ١٣٢ » هذه هي العقلية الاوروبية ولن تجد لها من مثيل في آسيا . على أننا قادرون على انتحالها . فاننا بشر مثلهم والواجب علينا أن نتحل هذه العقلية كما هي جملة وبلا تجزئة « ص ١٣٣ »

ولكن كيف يتيسر لنا ذلك ؟ يتيسر لنا بأن نسلك الطرق الثورية الانقلابية . ان الحاجة تدعونا لأن نلغي العقلية الاسيوية وأن نحل محلها العقلية الاوروبية . اننا تواجهنا الآن مصاعب ومشكلات كتلك التي قامت في وجه الثورة الفرنسية . لهذا وجب علينا أن نستخدم الوسائل الثورية . وليس في الدنيا من ثورة حبت أعداءها بنعمة الحرية . إنما الحرية الشخصية تكون بيقين حقاً للجميع بعد أن تضع الثورة أوزارها وتثبت أصولها . لهذا لا نستطيع أن نترك بزرة الحركات الرجعية تنمو حبتها في العصر الحاضر . والا فان الثورة لن تنجح « ص ١٣٥ » ان الحضارة الاوروبية تقوم على ثلاث أسس عظيمة : الاول - حقوق الانسان - والثاني - الثقافة القومية - والثالث - الاقتصاد والمالية القومية - ولنبحث كلا من هذه الاسس على حدة :

أولاً - حقوق الانسان : تنحصر في أن كل شخص تابع لرعاية الحكومة يولد ويعيش حرّاً . وهذا هو المبدأ الجوهرى الذى تقوم عليه كل جماعة متحضرة . وهذه الحرية تطبق على كل المعاهد التي يقوم عليها النظام الاجتماعى فرديا وعائليا وحكوميا :

(١) الحرية الفردية . تقيد هذه الحرية بكل الاشياء التي لا يحب شخص أن يستعملها ضده شخص غيره . ولم يبق في أوروبا أمة واحدة لم تقبل مبدأ الحرية الفردية محددًا هذا التحديد . ومن غير الحرية الفردية وحرية الضمير وحرية الفكر والنشر لا يمكن أن تمضى أمة متحضرة في سبيل الارتقاء « ص ١٤٠ »

(٢) أما الوجه الثانى من أوجه الحرية الفردية فذو علاقة بالحياة العائلية . « ص ١٤٥ » أما العقلية الاوروبية فقد حلت هذه المشكلة أيضاً . فان الحياة العائلية في أوروبا انما تقوم على مبدأ التساوى في الحقوق . لأن الحياة لم تعط الرجل حقاً أكبر ، ولم تحرم المرأة حقاً ، مهما كان نوعه . فان الحياة مرح وسعادة .

اذن وجب أن تعطى المرأة حرية الرجل ، والرجل حرية المرأة . وليس على غير هذا الاساس تقوم الحياة العائلية الحرة . وهذه العقلية بالطبيعة ترفض الاعتراف بحق تعدد الزوجات ، وتسع بالضرورة مبدأ مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل في الاجتماع . « ص ١٤٦ » المرأة والرجل أحرار فرديا . وما الزواج الا اشتراك يحدث بتوحيد مصالحهما وحقوقهما بمحض الاختيار ، والطلاق عبارة عن فسخ هذه الشراكة : اذن وجب أن يكون للزوج والزوجة نفس هذه الحقوق المشتركة . والزواج موجه بكلية الى خير الجماعة ويجب أن يقوم على هذه المبادئ « ص ١٤٨ »

(٣) حرية الحكومة : بحكم وجود أكثر من فردين اثنين في هذه الحياة فرض نظام الحكم . ولهذا لزم أن تقوم الحكومة على صورة تضمن حقوق كل الناس ، ووجب أن يمثل في نظاماتها كل شخص من أشخاص الرعية . وهذه هي الديمقراطية . ينبغي للحكومة أن تمثل شرائع الافراد وأن تقوم حفيظة على مصالح الجماعة . وان مصالح الجماهير لا يجب أن تعبت بمصالح الافراد ، ولا يجب أن تعبت مصالح الافراد بمصالح الجماهير . ان مصالح الافراد والجماهير يلزم أن تسير متعاونة في سبيل الخير والصالح . وعلى هذا لا ترى حكومة أوروبية تستطيع أن تفكر في أن تعتدى على مصالح الافراد « ص ١٤٩ »

ثانياً — الثقافة القومية : اننا انما نعيش اليوم في عصر القومية ، ولم نصل بعد الى عصر «الانسانية» . ان الحضارة الاوروبية تستهدى في كل أعمالها وحركاتها بوحى القومية وحدها . إذن يجب علينا أن نسير على نهجها ونعمل عملها . لم تعترف أمة بحق أمة أخرى بعد . ولم تشفق أمة على غيرها ، ولم يهب شعب لنجدة آخر . وما الحروب الطاحنة التي قامت في أوروبا الا دليل حى على صحة ما نذهب اليه . ولقد حاول البعض أن يفسر موقف أوروبا العدائى أزاءنا بأنه راجع الى بواعث دينية . وهذا ليس بصحيح . فان الحضارة الاوروبية ليست بشعوبية مسيحية ، ولا هى بجمعية نصرانية . فان مثل هذه الاساليب التفكيرية قد زالت وانمحت من الذهنية الاوروبية . وليس أسخف من الحركات التي تقوم مناقضة لهذا المبدأ في تاريخ الدنيا الحديثة . وما جمعية الامم الا مثال محزن يؤيد صحة مذهبنا . فان العقلية الانسانية لم تقم بعد في ضمائر الشعوب . ولهذا يتعذر علينا أن نعمل مؤتمين بموحيات المنطق الانسانى . ليس لدينا الا القومية

والمنطق القومي وحدهما وهذا هو نتيجة التناحر على الحياة . وما التناحر الا أساس الحياة في كل مكان . هذا مبدأ ثابت لا مبدل له « ص ١٥٥ »

ثالثاً — الاقتصاد القومي : « ص ١٦٠ — ١٧١ » ان الاعتراف بحقوق الانسان قد مهد السبيل للحضارة الحديثة . فان الثقافة القومية قد خلقت في الناس طابعاً خاصاً . أما الاقتصاد القومي فقد حفظ ذلك الطابع وزوده بالقوة التي بها يستطيع أن يشغل في نظام هذه الدنيا أعلى مكانة . إذن فسنادة الحضارة الحديثة في الواقع هو الاقتصاد القومي . وكل الدنيا انما تعمل اليوم على هذا المبدأ . وهذا نظام لم تتمتع به كل الامم على السواء . انه نظام يكاد يكون خاصاً بأسرة الامم الاوروبية . وهو في الواقع نتاج للعقلية الاوروبية « ص ١٦١ »

ان هذا مبدأ من أقوى المبادئ التي قامت عليها الحضارة الحديثة . وهو مبدأ على أية حال مخالف تمام المخالفة للمبادئ التي قامت عليها حياة الشعوب القديمة . أما اذا كانت الشيوعية قد قامت خلال الزمان الذي ظهر فيه المسيح مثلاً لكفت حاجات الناس لعهد . ولكنها كانت تحفظ على الجماعات طابعها القبطي الاول على الدوام . فان المسيحية قد اتبعت مبدأ الانتاج على قدر الكفاية والكفاف . أما مبادئ الاقتصاد الحديث فمناقضة لهذا المبدأ تماماً . انها لا تقوم على قاعدة الانتاج على قدر الحاجة ، بل على مبدأ الاستهلاك بقدر الانتاج . والفرق بين المبدأين شاسع بعيد . انها تزيد الانتاج وفي الوقت ذاته تنوع فيه « ص ١٦٢ »

هذا هو نظام الحضارة الاوروبية . وليس من شأننا أن نبحث فيما اذا كانت حضارة بحق أم انها بربرية ووحشية . كلا . يكفيننا أن الحياة الانسانية تقوم على هذا الوجه في العصر الحاضر . والواجب على تركيا أن تندمج في هذه الاسرة المتحضرة وأن تقيم حقوقها وثقافتها واقتصادها على أسس أوروبية . ان الحياة منطق صرف ، وجهد متواصل ، ولكنها بينة الطرق ممهودة السبيل .

هذا هو ملخص الكتاب ولبه ، ترك الحكم فيه لحرية الباحثين .

اسماعيل مظهر